

الأزمة في الخطاب العربي المعاصر

علجية يموتن⁽¹⁾

إذا أردنا تعقب بدايات خطاب الأزمة في الفكر العربي فيمكن أن نعد كتاب قسطنطين رزيق (معنى النكبة) الذي أعقب هزيمة العرب عام 1948 - أول كتاب التفت إلى ضرورة تشخيص الهزيمة، والبحث عن أسبابها الاجتماعية والسياسية والحضارية. ومنذ نكسة 1967م والمثقفون العرب يتحدثون عن الأزمة، وهو ما يعكس حالة التردّي التي تعيشها المجتمعات العربية، والشعور بالإحباط المهيم على الوعي العربي. ومنذ ندوة الكويت عام 1974 التي كان عنوانها (أزمة التطور الحضاري في الوطن العربي) والمثقف العربي يعالج الأزمة، ويحاول صياغة الحلول للخروج منها.

لقد ساد الحديث عن الأزمة منذ التسعينيات من القرن الماضي بصورة لا سابق لها، حتى بات مصطلح الأزمة من المفردات الأكثر تكرارًا في الأدبيات الفكرية العربية وفي وسائل الإعلام، فهناك أزمة سكانية، أزمة غذاء، أزمة مخدرات، أزمة في الواقع العربي، أزمة في الثقافة العربية، أزمة في الهوية، أزمة في الديمقراطية... وهو ما يعكس الحالة النفسية الصعبة التي يمر بها الواقع العربي، حيث تسيطر مشاعر اليأس والإحفاق على المثقف وعلى الجمهور على السواء.

وفي واقع الأمر، إن الأزمة التي يمر بها العالم العربي أزمة شاملة، لا تمس الفكر فقط بل لها جذور في الواقع الاجتماعي والسياسي والاقتصادي، فإشكالية التخلف الفكري لا تنفصل عن إشكالية تخلف البناء الاجتماعي والاقتصادي والسياسي. فبأي معنى تحدث المثقفين العرب عن الأزمة؟

1- معنى الأزمة ومظاهرها

اختلف الباحثون العرب في تعريف الأزمة وتحديد مظاهرها، فبرهان غليون يرى أنها تشير إلى " انهيار التوازنات الاجتماعية والإقليمية التي خلقتها وضمنها النظام القومي، وانفتاح الصراع من جديد بين مختلف مكونات الجماعة العربية الفكرية السياسية والاجتماعية والدينية والطائفية"⁽²⁾، والملاحظ في هذا التعريف أن برهان غليون يركز على الأسباب الداخلية ولا يولي اهتمام للعامل الخارجي (الاستعمار، الرأسمالية، التبعية...) ودوره في الوضع المتأزم الذي تعيشه المجتمعات العربية اليوم.

ويحاول محمود أمين العالم أن يجمع بين العاملين الداخلي والخارجي في قراءته للأزمة مؤكدًا أن الأزمة منذ بدايتها كانت ذا طابع مزدوج ومتداخل، فهي " ليست مجرد أزمة مفروضة من الخارج، بل هي أزمة البنى والهياكل الداخلية السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تكرر التبعية الرأسمالية العالمية وتكرس بها"⁽³⁾.

(1) - أستاذة بقسم الفلسفة، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران.

(2) - غليون (برهان) : اغتيال العقل، محنة الثقافة العربية بين السلفية والتبعية، دار التنوير للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، بيروت 1987 م ، ص 9.

(3) - العالم (محمود أمين) : الوعي والوعي الزائف في الفكر العربي المعاصر، دار الثقافة الجديدة، القاهرة، 1986 م ، ص 199.

ومن المفكرين الذين تحسسوا بعمق حجم الأزمة التي يمر بها العالم العربي، المفكر ياسين الحافظ ، الذي حاول رصد مظاهر هذه الأزمة في :

- تصفية مشروع الدولة - الأمة (الدولة القومية) والتقهقر إلى مرحلة ما قبل الدولة، أي العشيرة، الطائفية، وتجلت هذه التصفية في الانفصال المتزايد بين الحكم والشعب والتوسع المذهل في فساد الدولة.
 - تنامي سلطان الأيديولوجيا التقليدية السلفية في ظل إخفاق الأيديولوجيا القومية والماركسية.
 - التراجع على الجبهة الحدودية وتنامي النزعات الإقليمية.
 - تدهور المدينة العربية من الناحية الاقتصادية والعمرائية والثقافية، بسبب التزايد في عدد السكان، النزوح الريفي، التضخم المفرط في الأجهزة الإدارية والعسكرية وتركزها في المدن.⁽⁴⁾
- وبالإضافة إلى ذلك:

- غياب العدالة الاقتصادية، حيث تتركز مصادر الثروة في يد الأقلية بينما يعاني السواد الأعظم من الشعب العربي الفقر والبطالة ومشاكل السكن والصحة.
 - تداعي القيم العليا وانتشار النفاق واللامبالاة والسلبية والرشوة والمخدرات والسرقة .
 - تنامي الممارسات الإرهابية وعمليات التكفير والتخويف .
 - العجز الثقافي والعلمي والتكنولوجي وانتشار الأمية.
- لكن كيف وصل العرب إلى هذه الحالة ؟ وما طبيعة هذه الأزمة وأسبابها ؟

2- مقاربات الأزمة في الخطاب العربي المعاصر

نتيجة الوضع المتأزم الذي أضحى تحي في ظلله المجتمعات العربية برزت في الفكر العربي المعاصر ثلاث مقاربات، ركزت المقاربة الأولى على نقد المجتمع، وركزت المقاربة الثانية على نقد الدولة، بينما ركزت المقاربة الثالثة على نقد الفكر.

أولاً: على مستوى المجتمع

حاول العديد من الباحثين العرب مقارنة الأزمة التي يمر بها العالم العربي من خلال تحليل ونقد المجتمع العربي، وإبراز بنيته الاجتماعية والاقتصادية، ومنهم هشام شرابي الذي يصف بنية المجتمع العربي بالبنية الأبوية، حيث يخضع الفرد إلى السلطة والإرادة الواحدة، والتي تجد نموذجها النبوي وأصلها التاريخي في سلطة الأب داخل العائلة، ويرى شرابي أن هذا المجتمع الأبوي وإن لم يكن تقليدياً بكل معنى الكلمة، فإنه لم يتوصل إلى تحقيق الحداثة بمعناها الأصلي، بل هي حادثة مزيفة لا تمس من البنية الأبوية إلا مظاهرها الخارجية، فالمجتمع العربي مجتمع

(4) - الحافظ (ياسين) : الهزيمة والأيديولوجيا المهزومة، دار الحصاد، الطبعة الثانية، دمشق، 1997م. ص172، 193.

متضارب تحكمه التناقضات على صعيد الفكر والممارسة، فهو مثلاً حين يحلم بالوحدة يمارس التشرذم، وحين ينادي بحقوق الإنسان يمارس القمع والإكراه.⁽⁵⁾

وإلى الرأي نفسه يذهب حلیم بركات في تحليله للمجتمع العربي، حين يرى أنه يتصف تقليدياً بالأبوية والنزوع إلى الاستبداد على مختلف المستويات : على مستوى أنظمة الحكم، ومؤسسات التربية، والعمل،... ويرى أنه يقوم على بنية إنتاجية تجارية، زراعية مع ظهور نظام ريعي في بعض البلدان المنتجة للنفط، وأنه يعاني رسوخ بنية طبقية هرمية، حيث تحتكر فيه القلة السلطة وثروات البلاد على حساب الطبقة الوسطى والقاعدة التي تشكل فيه الأغلبية، كما يتصف بالتقليدية الاجتماعية حيث تتعدد الانتماءات والعصبيات القبلية والطائفية والعرقية والجهوية. ورغم هذا التعدد فإن المجتمع العربي يميل إلى التكامل في هويته الثقافية.⁽⁶⁾

وإلى الرأي نفسه يذهب الجابري في قوله: إن " الثقافة العربية كانت ولا تزال المقوم الأساسي ، بل الوحيد لعروبة الأقطار العربية... ماذا سيبقى من عروبة العرب أو من دعائم شخصيتهم أو من مقومات وحدتهم إن نحن سحبتنا منهم الثقافة العربية " ⁽⁷⁾

ويجمع الباحثون في تحليلهم للمجتمع العربي على تبعيته للرأسمالية العالمية، وذلك راجع إلى تبعية البرجوازية المهيمنة في المجتمع العربي، ويحدد لنا أحمد بركاوي هذه البرجوازية وهي على رأس السلطة الوليدة بعد الاستقلال، حيث سعت إلى خلق دولة على غرار النمط الأوروبي ، فاستعارت النموذج الغربي في كل شيء، استعارت النظام السياسي الديمقراطي لتطبيقه في مجتمع لم يخض أي صراع من أجلها.⁽⁸⁾ ونمت هذه البرجوازية المزعومة.* وأصبحت تشير إلى شرائح متنوعة في المجتمع العربي، تختلف في طرق ثرائها وعلاقتها بالإنتاج، ففي الجزائر وبعد سيطرة الدولة على العملية الاقتصادية نشأت فئات اجتماعية استغلت وضعها الوظيفي، عن طريق الرشاوى وكومسيونات من الشركات الأجنبية المصدرة، وفي مصر تكونت طبقة ثرية من خليط معقد من قيادة الجهاز الإداري والعسكري، والبرجوازية الطفيلية الهامشية، والبرجوازية الوطنية، والبرجوازية العقارية، أما الدول النفطية فقد نشأت البرجوازية فيها ثمرة لريع النفط.⁽⁹⁾

⁽⁵⁾ -شراي (هشام): النقد الحضاري للمجتمع العربي في نهاية القرن العشرين، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، بيروت، 1990 م، ص93.

انظر كذلك شراي: مقدمات لدراسة المجتمع العربي، دار نلسن السويد، بيروت، الطبعة السادسة، 1999 م ، ص209 ، 210.

⁽⁶⁾ - بركات(حلیم): المجتمع العربي في القرن العشرين (بحث في تغير الأحوال والعلاقات) مركز دراسات الوحدة العربية ، الطبعة الأولى، بيروت، 2000 م ، (انظر الفصل الأول : مقدمة لدراسة المجتمع العربي) .

⁽⁷⁾ - الجابري (محمد عابد): المسألة الثقافية في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية ، الطبعة الثانية، بيروت 1999 م، ص20.

⁽⁸⁾ - بركاوي (أحمد): العرب بين الأيديولوجيا والتاريخ، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى، دمشق ، 1995 م، ص15.

*- يسميها بعض الباحثون برجوازية مزعومة لأنها لم تتشكل على غرار البرجوازية الأوروبية، نتيجة صراع مع الطبقة المسيطرة (الإقطاع) بل نتيجة تكيف داخلي لهذه الطبقة ذاتها.

⁽⁹⁾ - بركاوي (أحمد): الثقافة العربية المعاصرة: الهوية والاختلاف (مقال ضمن كتاب المسألة الثقافية في العالم العربي الإسلامي)، دار الفكر، الطبعة الأولى، دمشق، 1998 م، ص105، 107.

وبهذا التحديد الاقتصادي للبرجوازية في المجتمع العربي يمكننا أن نستنتج الفكر الذي تنتجه أو الذي تسعى لنشره، فكر الاستهلاك والتبعية.

ثانياً: على مستوى الدولة:

يتفق العديد من الباحثين على تحميل الدولة مسؤولية الأزمة التي تواجهها المجتمعات العربية، بعد عجزها عن تحقيق المطالب التي وعدت بها من ديمقراطية وتنمية وحرية. ويعمل البعض على إبراز الطبع التسلطي للدولة العربية ودوره في الأزمة، ومنهم خلدون حسن النقيب وبرهان غليون، بينما يعمل آخرون على تأكيد الطابع القطري للدولة والذي يعدونه سبباً في الأزمة ومنهم سعد الدين إبراهيم .

وفيما يخص خلدون حسن النقيب فإنه يركز على مرحلة استيلاء العسكر - عن طريق الانقلابات - على الحكم، والقضاء على التجربة الليبرالية، والتي كان من نتائجها احتكار الدولة للسلطة ومصادر القوة في المجتمع، وتفريغ القضايا الحيوية ومعضلات التنمية من محتواها السياسي. فمنذ النصف الأول من الستينيات نجح الإرهاب المنظم للدولة ومأسسة العنف في إبعاد المعارضة، وقصر المساهمة في السياسة على المؤيدين والموالين، من التكنوقراط والمنتفعين بالسلطة، وبهذا قضت الدولة - بوعي أو بدون وعي - على الأسس المادية لمؤسسات المجتمع المدني (الأحزاب السياسية، النقابات المهنية، وسائل الاعلام) وأتاحت المجال لعودة التنظيمات المختلفة (ما قبل الرأسمالية) كالقبليّة والطائفية والإقليمية للظهور كتتنظيمات بديلة.⁽¹⁰⁾

وإن كان حسن النقيب قد أصاب في أن الدولة الوطنية لم تحقق كل المطالب التي وعدت بها من ديمقراطية وعدالة وتنمية، وأنها احتكرت السلطة، لكن هذا لا يعني إغفال منجزاتها.

أما برهان غليون ومن خلال مفهوم الدولة التحديثية بوصفها دولة المركزية الشديدة والسلطة المطلقة والبيروقراطية، فيحاول إثبات أن الأزمة التي تعيشها المجتمعات العربية اليوم تكاد تتركز كلياً على إشكالية الدولة. فالدولة التحديثية وبهدف استدراك التأخر التاريخي وتحقيق الاندماج في الحضارة والتاريخ عملت على استيعاب عناصر الحداثة، ولكنها قادت باسم التقدم والعقلانية والحرية والوطنية إلى عكس أهدافها، فهي لم تتردد في تجاوز مفاهيم الحداثة إذا اقتضت مصالحها ذلك، وهذا ما يسميه برهان غليون ما تحت الحداثة أو حثالة الحداثة .

ويرى برهان غليون أن الدولة التحديثية التي دشنت نموذجها محمد علي في مصر ومدّ فيه وعزّزه أتاتورك في تركيا وصولاً إلى الدولة التحديثية الوطنية، سقطت ضحية تصورها للدولة التحديثية ذاتها. فهذه الدولة التي فرضت نفسها على المجتمع في سبيل دفعه نحو الاندماج في الحضارة والتاريخ، عملت على استبعاد هذا المجتمع كلياً، فأزمة الدولة التحديثية - كما يرى برهان غليون - ليست في الاستبداد والقمع بقدر ما هي في القطيعة بين المجتمع والدولة. فالأزمة السياسية والاجتماعية التي نعيشها اليوم هي نتيجة هذا الشرخ الاجتماعي بين المجتمع والدولة،

⁽¹⁰⁾ - انظر النقيب (خلدون حسن): الدولة التسلطية في المشرق العربي (دراسة بنائية مقارنة)، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، بيروت،

حيث لم تعد هذه الأخيرة تعبر عن المجتمع، بل أصبحت تشكل مجتمعاً نقيضاً قائماً بذاته، له منطق ومصالحه وأهدافه. (11)

والملاحظ في القراءة التي يقدمها برهان غليون للأزمة أنه عدّ الدولة التحديثية واحدة منذ محمد علي إلى دولة ما بعد الاستقلال، رغم اختلاف الفئات التي تسلمت الحكم في هذه الفترة في انتماءاتها الاجتماعية والسياسية، وفي مشاريعها التحديثية، ففي حين اهتمت دولة محمد علي بتحديث الجيش، اهتمت الدولة الوطنية بالمشاريع التصنيعية .

أما سعد الدين إبراهيم فقد عالج أزمة الدولة من زاوية قطريتها، وقد تناول فترة السبعينيات والثمانينيات بوصفها مرحلة ازدهار الدولة القطرية، هذه الأخيرة في نظره أصبحت تعاني مشكلات عديدة، منها مشكلة الهوية. فالدولة القومية عند ولادتها نازعتها على الأقل ثلاث هويات متنافسة: الهوية الوطنية والهوية القومية والهوية الدينية، وكان من شأن اختيار إحداها أن يحدث مشكلات داخلية أو إقليمية، لكن في واقع الحال كما يؤكد سعد الدين إبراهيم أن الممارسة الوطنية القطرية هي التي سادت عملياً، حتى في الدول التي أعلنت أن هويتها عربية أو إسلامية، فعقد السبعينيات والثمانينيات هما عقدا المشروع القطري الخاص .

ثم يستعرض سعد الدين إبراهيم المشكلات التي لحقت بالمشروع القطري الخاص، وهي مشكلات لم تظهر في ظل المشروع القومي العام الذي ساد في الخمسينيات والستينيات من القرن العشرين، ومنها: العدوان الخارجي، ففي ظل المشروع العربي القومي وباستثناء العدوان الصهيوني، لم تتعرض أي دولة عربية للعدوان الخارجي، أو لخطر الزوال والتفتت والانفجار من الداخل. أما في ظل المشروع القومي الخاص فقد تعرضت أكثر من دولة للعدوان الخارجي كالعدوان الصهيوني على العراق عام 1981، وعلى لبنان عام 1982، والعدوان الإيراني على العراق عام 1980 .

وترتبط مسألة الهوية في نظر سعد الدين إبراهيم بمسألة الاندماج السياسي الاجتماعي للتكوينات العرقية، فالاختيار بين الهويات المتنافسة ينطوي على استبعاد أحد التكوينات الاجتماعية من الحياة السياسية في الدولة القطرية، فاختيار الهوية القومية مثلاً يؤدي إلى استبعاد غير العرب من أبناء الدولة، وهذا يدفع بهم إلى الانسحاب والتفوق أو التمرد والعصيان. ومن المشكلات التي واجهت الدولة القطرية كذلك تآكل شرعية الأنظمة الحاكمة واهتزاز شرعية الدولة، فالأنظمة العربية لم تبين شرعيتها على ديمقراطية ليبرالية مماثلة لما شاهدها صبيحة الاستقلال، ولا على أساس زعامة تاريخية كاريزمية، أو عقيدة ثورية كما في التجربة الناصرية، وإنما بنت شرعيتها على القمع والابتزاز وتقليص الحريات الأساسية.

فضلاً على ذلك، يبرز سعد الدين إبراهيم دور العامل الاقتصادي الذي أسهم في تفاقم أزمة الدولة القطرية، فالدول العربية الميسورة وخاصة النفطية منها صاحب نموها الاقتصادي هدر للموارد المالية، ولم يؤد إلى

(11) - انظر غليون (برهان): المحنة العربية، الدولة ضد الأمة، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، بيروت، 1993 م.

تنوع القاعدة الإنتاجية، أما الدول غير الميسورة فقد اضطرت إلى الاستدانة مما جعلها تحت ضغط الدول الدائنة، وتحت ضغط صندوق النقد الدولي، كما يبرز دور العامل الخارجي والمتمثل في مخططات خارجية وممارسات فعلية تستند إلى استخدام القوة ضد الدول القطرية، ولكي تجابه هذه الأخيرة هذا الخطر في ظل غياب القدرة الذاتية للدفاع عن النفس وغياب الدعم العربي تلجأ إلى الاحتماء بطرف خارجي، وطبيعي أن يطلب هذا الطرف ثمن الحماية الذي يكون على حساب السيادة الوطنية.⁽¹²⁾

هكذا حلل سعد الدين إبراهيم أزمة الدولة القطرية إلى نهاية الثمانينيات من القرن الماضي، معتقداً أنه الوضع الأكثر تأزماً الذي آلت إليه منذ نشأتها بعد الاستقلال ولم يكن يعلم أنها ستشهد في التسعينيات وبداية الألفية الثالثة أزمت أكثر حدة، بداية بأزمة الخليج الثانية والتي ترتبت على غزو العراق للكويت، والتي أوقعت بالساحة العربية شرخاً عميقاً، وأدت إلى تحالف عرب ضد عرب مع قوى أجنبية استثمرت هذا الخطأ التاريخي الذي وقع فيه العراق لتبسط سيطرتها على المنطقة، ولنفرض أمريكا نفسها وصياً على الوطن العربي، متحكماً في موارده، وحامياً لأمن بعض العرب ضد بعض العرب، وحاملاً للواء الديمقراطية والحرية، كما شهدنا تراجع شعارات الوحدة والتحرر والنهوض العربي، وبدأنا نسمع عن مشروع الشرق الأوسط الكبير،⁽¹³⁾ والذي يرمي إلى إجهاض أي مشروع نهضوي جديد، وإعطاء الكيان الصهيوني اليد الطويلة في المنطقة، بالإضافة إلى تفاقم ظواهر قمع الحريات والفكر واكتساح الاتجاهات السلفية المتطرفة التي وصل بها الأمر إلى حد الإرهاب المسلح والقتل الجماعي.

ثالثاً : على مستوى الفكر:

إن أزمة العالم العربي لا تكمن كلياً في النظام السياسي، أو في بنية المجتمع العربي، بل لها جذور في نظام الفكر وطرق التفكير ومنظومات القيم، فأزمة البناء الاجتماعي والاقتصادي والسياسي لا تنفصل عن أزمة الفكر، ذلك أن الفكر يتشكل في إطار جدلي مع الواقع المعيش، فالفكر من حيث كونه إنتاجاً ثقافياً هو انعكاس للواقع.

ومن الذين اهتموا بأزمة الفكر العربي فؤاد زكريا، الذي يرى أن أفضل الوسائل لفهم الأزمة هو البحث في تلك الصلة الفريدة بين الماضي والحاضر في الثقافة العربية، حيث يرى أن نظرتنا اللاتاريخية للماضي هي المسؤولة عن التخلف الفكري الذي يعاني منه العالم العربي، وعن ذلك التخبط والاضطراب الثقافي الذي يظهر أوضح ما يكون في الطرق التي تعالج بها مشكلة موقفنا من التراث، ودوره في حياتنا الحاضرة، أو مشكلة الأصالة والمعاصرة

(12) - انظر إبراهيم (سعد الدين): مستقبل المجتمع و الدولة في الوطن العربي، المنتدى الفكري العربي، الطبعة الثانية، عمان، 1988 م.

(13) - هو نظام إقليمي تسعى أمريكا وحلفائها إلى فرضه، واهم ركائزه أن تكون الكلمة العليا لأمريكا وتكثيف وجودها العسكري في المنطقة، وفصل المشرق العربي عن المغرب العربي بهدف منع أي تكامل عربي، وتعزيز السلام العربي - الإسرائيلي وتعميق السياسة الاستراتيجية معها من أجل الحفاظ على مصالح إسرائيل وأمنها. (انظر سيار (الجميل) العولمة الجديدة والمجال الحيوي للشرق الأوسط (مفاهيم العصر القادم) مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق، الطبعة الثانية، بيروت، 2001 م، ص 122 وما بعدها).

كما يشيع تسميتها، فهذه النظرة لا تضع الماضي في سياقه الفعلي بوصفه مرحلة تلاشت في المراحل اللاحقة وتم تجاوزها بالتدرج حتى وصلنا إلى الحاضر، بل تنظر إليه بوصفه قوة مستقلة عن الحاضر منافسة له.

ويحاول فؤاد زكريا بجهد إثبات أن الطريقة التي طرحت بها مشكلة التراث سواء أكان من جانب أنصاره أم من جانب خصومه غير سليمة، فخصومه يتهمونه بأنه حافل بالعناصر اللاعقلية وبالاستبداد، وأن هذه العناصر هي المسئولة عن تخلفنا، بينما يرى أنصاره أن سبب تخلفنا هو عدم التزامنا بتراثنا، وكلاهما في نظر فؤاد زكريا مغترب، من ينكر التراث مغترب مكانيًا فهو رافض للتراث، مرتبط إلى حد مفرط بثقافة معاصرة تنتمي إلى مجتمع غريب عن مجتمعه، ومن يتمسك بالتراث مغترب زمنيًا، يتعلق بعصر تفصله عنه أجيالاً عديدة. (14)

أما جورج طرابيشي فيحيل هذه الأزمة إلى عوامل نفسية مرضية، فيرى في كتابه (المثقفون العرب والتراث) أن هزيمة 1967 هي التي أمرضت الخطاب العربي وأدت إلى تمخض عصاب جماعي لدى فئة واسعة من الأنتلجانشيا المنتجة لهذا الخطاب. ولتحديد معنى العصاب يورد طرابيشي تعريف فرويد للعصابي " بأنه من يشيح عن الواقع لأنه لا يطاق بتمامه أو في بعض أجزائه"، كما يورد تعريف فلييب ريبف للعصاب بأنه " عجز الإنسان عن الإفلات من قبضة الماضي وعبء التاريخ"، وبناءً على هذين التعريفين تكمن عصابية الخطاب العربي المعاصر في نظر طرابيشي في تشبته على الماضي فهو خطاب تراثي .

ويرى طرابيشي أنه إن كانت النهضة العربية وليدة صدمة الحملة النابليونية ، التي كان لها الأثر الصحي في شحذ الوعي العربي باتجاه ضرورة التكيف مع الواقع وتكيفه، فإن هزيمة حزيران التي ولدت أزمة الخطاب العربي المعاصر كان لها مفعول مرضي، فلقد خدرت الوعي العربي، وفتحت أمامه المسارب للهروب من الواقع بدل مواجهته، والنكوص إلى الوراء، فالمثقف العربي منحرف في سيرورة نكوصية من نمط كلي، (15) حيث يخلق قوة ذات قدرة سحرية، قد تكون التراث أو بدائله، كالوحي والتوحيد عند السلفيين، والعنصر العربي أو اللغة العربية عند القوميين، ويغيب الفعلة التاريخيين (البشر). (16)

وفي حقيقة الأمر أنه منذ هزيمة 1967 ظهرت العديد من الأعمال، وعقدت العديد من الندوات التي توجهت إلى نقد الفكر العربي ، ومنها ندوة الكويت عام 1974 حول موضوع (أزمة التطور الحضاري في الوطن العربي)، والتي انتهت إلى أن تخلف العالم العربي يرجع إلى استمرار الماضي في الحاضر. ومن الأعمال التي وجهت هدفها نحو نقد الفكر العربي كتاب أدونيس (الثابت والمتحول)، وكتاب طيب تيزيني (مشروع رؤية جديدة في العصر الوسيط

(14) - انظر زكريا (فؤاد): التخلف الفكري وأبعاده الحضارية (مقال ضمن كتاب أزمة التطور الحضاري في الوطن العربي، وقائع ندوة الكويت مابين 7،

12 نيسان 1974 م) دار السياسة، الطبعة الأولى، الكويت، 1975 م.

(15) - هي الصفة التي يخلعها الطفل على الراشد حين يعزو إليه القدرة الكلية.

(16) -انظر طرابيشي (جورج): المثقفون العرب والتراث. (التحليل النفسي لعصاب جماعي) رياض الريس للكتب والنشر، الطبعة الأولى، لندن،

1991م.